[50] أمير المؤمنين، أتكلم أو أسكت ؟ فقالت له نائلة: بل اسكت فوا لئن تكلمت لتغرنه ولتوبقنه. فالتفت إليها عثمان مغضبا، فقال: اسكتي، تكلم يا مروان، فقال مروان: يا أمير المؤمنين وا لو قلت الذي قلت وأنت في عز ومنعة لتابعتك ولكنك قلت الذي قلت وقد بلغ السيل الزبى (1)، وجاوز الحزام الطبيين، فانقض التوبة ولا تقر بالخطيئة. ما أنكر الناس على عثمان رحمه ا قال: وذكروا أنه اجتمع ناس من أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام، فكتبوا كتابا ذكروا فيه ما خالف فيه عثمان من سنة رسول ا وسنة صاحبيه، وما كان من هبته خمس أفريقية لمروان وفيه حق ا ورسوله، ومنهم ذوو القربى واليتامى والمساكين، وما كان من تطاوله في البنيان، حتى عدوا سبع دور بناها بالمدينة: دارا لنائلة، ودارا لعائشة وغيرهما من أهله وبناته، وبنيان مروان القصور بذي خشب (2) وعمارة الاموال بها من الخمس الواجب ولرسوله، وما كان من إفشائه العمل والولايات في أهله وبني عمه من بني أمية أحداث وغلمة لا صحبة لهم من الرسول ولا تجربة لهم بالامور، وما كان من الوليد بن عقبة بالكوفة إذ صلى بهم الصبح وهو أمير عليها سكران أربع ركعات ثم قال لهم: إن شئتم أزيدكم صلاة زدتكم، وتعطيله إقامة الحد عليه، وتأخيره ذلك عنه، وتركه المهاجرين والانصار لا يستعملهم على شئ ولا يستشيرهم، واستغنى برأيه عن رأيهم، وما كان من الحمى الذي حمى حول المدينة، وما كان من إدراره القطائع والارزاق والاعطيات على أقوام بالمدينة ليست لهم صحبة من النبي عليه الصلاة والسلام، ثم لا يغزون ولا يذبون، وما كان من مجاوزته الخيزران إلى السوط، وأنه أول من ضرب بالسياط ظهور الناس، وإنما كان ضرب الخليفتين قبله بالدرة والخيزران (3).

_____

(1) الزبى: الزيبة مصيدة الاسد، ولا تتخذ إلا قلة أو رابية. والطبيين واحدها طبي كما يقال في الظلف والخف خلف. فإذا بلغ الحزام الطبيين فقد انتهى في المكروه. المثل في أمثال أبي عبيد 343 فصل المقال ص 472 جمهرة الامثال 1 / 220 مجمع الامثال 1 / 91. (2) ذو خشب: موضع بالمدينة. (3) قارن مع ما ذكره الطبري 5 / 93 وابن سعد 3 / 64 والعقد الفريد 4 / 283 ومروج الذهب 2 / 373 - 374. والبداية والنهاية 7 / 192. (*)

_____